الكون والإنسان

يشهدان للإسلام

محمد البرهومي

أكاديمية الحوار الفكري

أكاديمية الحوار الفكري

الكتاب: **الكون والانسان**

المؤلف: **محمد البرهومي**

الموضوع: **الحاد**

ايبين: 200501210929

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

من الذي اجتاح العراق وقتل الأبرياء العزّل؟ من الذي تدخل عسكريا في بلاد المغرب الأقصى وتونس والجزائر وليبيا ومصر والشام والسودان واحتل الأرض ونهب الخيرات وقتل الرجال والأطفال واغتصب النساء؟ من الذي قام بتصفية وابادة مسلمي البوسنة، ومسلمي الشيشان، ومسلمي بورما؟ من الذي يقتل الأطفال الفلسطينيين في كل يوم وفي كل حين؟ من الذي أخرجهم من أرضهم واستوطن في ديارهم؟

الإسلام هو الدين الأكثر مهاجمة ومحاربة من كل العالم، فقد أُنشأت خصيصا لسب الإسلام وتشويه صورته والافتراء عليه عشرات وربما مئات القنوات التلفزيونية المتخصصة في ذلك، علاوة على الإذاعات والمجلات ومواقع الويب الالكترونية المعادية للإسلام وأهله، وترى أن بعضها يتم إصداره وبثه من دول غالبيتها مسلمة، يعيشون بيننا بصورة حملان وهم يترصدون بنا، يسيئون لنا ويتهموننا بأبشع التهم وأهمها أننا قوم همجيون وارهابيون وهم ينعمون بالراحة والأمن في بلادنا، وحتى القاطنين خارج بلادنا لا يفوتون فرصة لزيارة بلدنا والسير في شوارعها والسياحة في كل شبر منها بين أهلها الطيبين كما ورد على ألسنتهم.

لماذا كل هذه القسوة، ولماذا كل هذا الشر، وهذا الاجرام والإرهاب ضد المسلمين، وصدق من قال بأن الإرهاب لا دين له. فكيف يمكن لشخص يدين بدين ويخاف الله أن يقتل انسانا بريئا دون سبب يذكر، فقط لحقد دفين كامن في قلوبهم تجاه الإسلام ومعتنقيه، حتى ولو كانوا أبرياء. تتوالى الحروب والصراعات، وكل امبراطورية تحاول فرض هيمنتها واذلال ناصية الطرف المقابل، لا من أجل الله أو من أجل نشر العدل في الأرض، بل من أجل مآرب شخصية لا غير. ولأجل ذلك نشروا أذيالهم في كل الأرض، مبشرين بأديان تخدم مصالحهم، ومشككين في ديننا الحنيف، أولويتهم الكذب والافتراء، ونشر شبه كاذبة منفرة من الإسلام، مستغلين فيها سذاجة الكثيرين، وتصديقهم للأخبار والأقاويل دون نظر في المصدر أو الدليل. وبالتالي، انتشر في الدول المتخلفة الالحاد والارتداد عن الدين، وازداد عدد المسلمين في بلاد التطور العلمي، حتى وان كان تطورهم نسبيا، فدرجة وعيهم أعلى من درجات وعي سكان البلاد العربية المخدّر أهلها بوهم لقمة العيش لما يعانوه من فقر في الغالب وسيطرة حفنة من السياسيين ومن والاهم من أصحاب المال على الاقتصاد العام للبلاد.

في هذا الكتاب سأقدم عرض بطريقة جديدة، بدراسة نقدية للنظريات التي لا يمكن النظر اليها إلا من ناحية أيديولوجية لا تمت للعلم والحقائق العلمية بصلة. وسأقوم بسرد حقائق علمية وشهادات كونية وبشرية عن الإسلام كدين وحقيقته من منظور مبني على أدلة ويقينيات، ان شاء الله.

الفصل الأول

بداية الحياة

نشأة الحياة

السؤال الأكثر طرحا والأكثر مناقشة، كيف بدأت الحياة على سطح الأرض. فبعد اثبات أن للكون بداية، من خلال مشاهدات ادوين هابل، صارت نظرية أزلية المادة، بعد أن كانت باطلة بدليل العقل والمنطق، بطلت بدليل المشاهدة والدليل العلمي، حتى وان كان لأنصارها بعض البقايا التي لم تستوعب بعد الحقائق العلمية، اما جهلا بها أو كبرا أو انتصارا وتعصبا أعمى للنظرية والقائلين بها.

وجرت العادة في الوسط العلمي الحديث، بعد السيطرة الغربية على المراتب الأولى في العلوم والتكنولوجيا، على رفض كل حقيقة دينية، وتم فصل العلم عن الدين، وهذا عائد لسببين، الأول حقدهم على الإسلام وتعاليمه حتى وان كانت حقيقة مثبتة، والثاني أن كتبهم وأديانهم لم تكن في يوم متفقة مع الحقائق العلمية، بل كانت مخالفة لها تماما، والأدهى من ذلك تاريخ الكنيسة الأسود، وتصفيتها للعلماء وملاحقتهم.

كما لا يمكننا تغافل تلك الصفحات السوداء من تاريخ الكنيسة، فكما حاربت العلم والعلماء، شوهت الإسلام وافترت عليه بالأكاذيب، ولو كان الغربيون على درجة كبيرة من العلم والانصاف لما صدّقوا ما روجت له الكنيسة، بل الأجدر بهم إعادة البحث بنظرة محايدة، حول كذبهم وافترائهم الذي ننزله منزلة الافتراء والكذب على العلماء واتهامهم بالهرطقة، أي الكفر بالله. فبمجرد مرورهم بهذه

الأزمة، وعيشهم تحت ظل جهة دينية ضالة، استغل رجالها ووجهاؤها الدين مطية من أجل مآربهم الخاصة، كان ولا بد لهم من إعادة النظر بالكلية.

كل هذا ساهم مساهمة مباشرة في تبنيهم لنظرية التطور، والتعصب لها، لأنها الحل الوحيد، والنظرية الوحيدة التي تخالف حقيقة الخلق وبالرغم من أن هذه النظرية، ليست سوى وجهة نظر، بناها داروين على مجرد افتراضات دون عمق نظر وأدلة واضحة، في الوقت الذي كانت فيها المعارف العلمية بسيطة للغاية. وباختراع الميكروسكوب الالكتروني، تمكن العلماء من مشاهدة مفصلة للخلية، واكتشاف هذا العالم المذهل المتكون من بوابات ومصانع وناسخات والكثير من الميكانيكيات المعقدة والمتطورة الكامنة في هذا الجزيء المجهري. وبالتالي تطورت العلوم الطبيعية وتم اكتشاف مكونات الخلية والتسلسل في الاكتشافات للجزيئات المجهرية، وأهم اكتشاف هو الشيفرة الوراثية الحمض النووي الذي مثل ثورة في الاكتشافات الطبيعية وكان دليلا من جملة أدلة قاطعة على انفراد كل مخلوق بخصائصه ولا يمكن له بأي حال أن يكون قد تطور من مخلوق آخر. حتى نظرية الطفرات، التي تمت تجربتها باءت بالفشل التام، وكل كائن تم تجربة احداث طفرة في حمضه النووي الا ويتشوه، وباستمرار الأجيال، يعود هذا الكائن لطبيعته ولا يرث التشوهات التي أحدثتها الطفرات.

وتشير الأبحاث إلى أن الأحافير المكتشفة للمجموعات الرئيسية للكائنات الحية كلها ظهرت فجأة، ولم يطرأ عليها أي تغير. والأهم من ذلك، ما يدعيه أنصار التطور من أن الكائنات مرت بمراحل تطورية كثيرة، فنحن نرى اليوم الحلقة الأولى والحلقة الأخيرة من هذا التطور، فأين باقي الحلقات لسلسلة التطور للكائنات الحية.

ومن المعارف العلمية التي تزيد تأكيد بطلان هذه النظرية، أن لكل خلية بناء مختلف عن الأخرى، فلا يمكن لخلية واحدة أن تتطور وتتكاثر لتكون في النهاية كائن حي. والأهم من ذلك، مكونات الخلية في حد ذاتها من أنزيمات وأحماض أمينية وبروتينات والكثير من المكونات الأخرى يجب أن تتوافر مع بعضها البعض في بيئة معينة وفي وقت محدد لتتكون خلية واحدة فقط.

ماذا لو أنني ادعيت أن هذا الكتاب وصفاته وحروفه، تكونت بينما سقطت قارورة حبر صغيرة على ألياف من الحلفاء وسقطت مع بعض في اناء ماء دافئ، وبقيت لوقت معين، فتكون هذا الكتاب بهذا النظام وهذه الكلمات المرتبة والمنسقة. فأقل ما يمكن أن يحدث هو اتهامي بالجنون، فضلا عن الكذب والافتراء.

هذه ردة فعل طبيعية حول ادعاء متعلق بورقات بيضاء ملطخة بالسواد، أجسام مادية لا حياة فيها ولا نشاط. فماذا نقول، إذا كان الأمر متعلق بكون فيه ملايين الكائنات الحية المفعمة بالحياة معقدة التكوين.

السؤال الذي يبقى مطروحا في كل الحالات، من أين أتت الحياة، كيف تكوّن الكون ومكونات الكون، حتى وان وجدت بالصدفة وهذا غير معقول، فهذه المكونات التي التقت بالصدفة من كوّنها ومن جمعها في الوقت المناسب والبيئة المناسبة ليصمم بها آلات بيولوجية متقنة الصنع معقدة التصميم غاية في الكمال والاعجاز.

تفاصيل دقيقة

بالنظر في هذه النظرية، بكل بساطتها حتى وان لبست ثوب التعقيد الممزق، فلا يمكن تفسير حياة معقدة بخرافة التطور. فلا يمكن أن ترتقي لمستوى النظرية حتى، وأكثر ما يمكن قوله بخصوص هذه التي سموها نظرية التطور "وجهة نظر كفيف".

المعلوم لدينا، وبعد مشاهدات ادوين هابل، أن هذا الكون كان عبارة عن كتلة مضغوطة، فُتقت وبدأت بالتوسع بسرعة تزداد يوما بعد يوم. وبعد اجراء كثير من الأبحاث والتجارب تبين أن الكون ظهر فجأة، وهذا الظهور وهذه البداية تم تسميتها "بالانفجار العظيم".

في الثانية الأولى من بداية الكون، ظهرت الكتلة المضغوطة بحجم رأس دبوس وتوسعت لتصير بحجم الأرض. وحسب النظريات المبنية على أبحاث فيزيائية وفلكية، فقد كانت درجات الحرارة الكونية في تلك الثواني الأولى مرتفعة بدرجات لا يمكن وصفها.

وهذا التوسع والتمدد مازال متواصلا، وبنسق أسرع من ذي قبل، ومازالت سرعة التوسع في تزايد مستمر، تزداد يوما بعد يوم. وأما النجوم فهي تعيش دورتها الحياتية، من بداية النشأة إلى ذروة النشاط إلى الإنكدار أو الإنطفاء، أو حتى الانفجار لتتحول إلى كتل مضغوطة جاذبيتها عالية جدا، تجذب كل من حولها حتى الضوء، وهي ما تسمى بالثقوب السوداء. وكما ان الشموس تكونت من الدخان

أو ما يسمى بالسديم، فإن الكواكب تتكون من بقايا هذه الشموس وتتكون الأقمار من الكواكب ومكوناتها، أي أن الكون مكوّن من بعضه.

هذا التولد، ساهم في تصميم الكون، بتفاصيل بالغة التعقيد. على سبيل المثال، حجم الأرض، وموقعها بين الكواكب، وبعدها عن الشمس، ونسبة البحار والمحيطات فيها، وغلافها الجوي، وحتى القمر الذي يدور حول الأرض، تم تصميمها بمنتهى الدقة.

لو كانت المسافة بين الشمس والأرض أكثر بقليل لكانت الأرض كوكبا متجمدا، ولو كانت المسافة أقل لكانت جحيما لا يُحتمل. كما أن شكلها ومدارها البيضوي يساهم في تقلب الفصول والمحافظة على سير الحياة بين درجات حرارة تختلف من وقت لوقت للحفاظ على نشاط الانسان وسلامة جسمه.

ودوران الأرض حول نفسها بهذه السرعة، ومقارنة هذه السرعة بحجم الأرض وسرعة دورانها حول الشمس ودوران القمر حول الأرض، تحافظ على الجاذبية واستقرار البحار والجبال والطبقات المكونة لقشرة الأرض وتحمي سكان هذا الكوكب وتساهم في استمرار حياتهم وسلامتهم.

الغلاف الجوي، يحمي الأرض من الاشعاعات الخطيرة، كما يحميها من النيازك والمذنبات ويخفف من حدة اصطدامها بالأرض ان تمكنت من اختراق هذا المجال الجوي.

والجبال تمسك طبقات قشرة الأرض وتثبتها كالمسامير كيلا تميد وتحافظ على الاستقرار، ولولاها لكانت الزلازل دائمة الحدوث.

والقمر وحركة دورانه وبعده من الأرض مقارنة بمكانه من الشمس يساهم في حركة المد والجزر، وهي حركة تنعش الحياة البحرية بتطهير المحيطات من الشوائب.

وفي كل الظواهر الطبيعية وفي كل تصميم دقة لا متناهية، سواء في تباعد المجرات عن بعضها، أو في تباعد الكواكب، أو في حركة دورانها في مداراتها ومحاورها. فالكون في حركة دائمة، من الذرة إلى المجرة، دوران دائم، كل جسم يدور على مركزه، في مدار معلوم، وكأنه طريق معبد، لا يحيد عنه أو يميل.

وما يثير الدهشة، يشبه العلماء الكون بقلم يقف على رأسه، وهذا التشبيه يفسر مدى توازن هذا الكون من جهة، وكيف أن هذا التوازن الدقيق لا يمكن أن يتم من تلقاء نفسه من جهة أخرى. وبالرغم من ذلك يحاول العلماء تفسير هذه الظواهر بتفسيرات بحسب تعبيرهم علمية، لكنها لا تتجاوز التخمين، ولا ترتقي لمستوى اليقين، وتغلب عليها الأيديولوجيات والأفكار المادية المعاصرة، وليست من الأمانة العلمية في شيء، ولا تمت للتجربة والمشاهدة بصلة.

ما يتبادر لذهني وذهن أي شخص له معرفة بسيطة بنشأة الكون، كيف يمكن للفوضى أن تنتج نظاما دقيقا. كون مترامي الأطراف، لا يمكن للعقل البشري حساب أبعاده، بل حتى آلات الرصد التي تجوب هذا الكون بسرعات فائقة لم تتمكن من رصده بالكلية.

ومازال لفظ "الكون المرئي" هو السائد في المجتمع العلمي، أي أن المراكز العلمية والفلكية لم ترصد كل الكون لحد الآن، وقد يكون في المستقبل القريب اكتشافات أخرى تثبت عظمة هذا الكون أكثر مما أثبتتها الاكتشافات الحالية.

الصدفة تفسير أم هروب من الحقيقة؟

نشأة الكون بالصدفة، وظهور الكائنات بالتطور، تفسير غير منطقي، وحتى ان تبنته كثير من الجهات العلمية، فلا دليل عليه نظريا أو تطبيقيا، ويبقى مجرد هروب من الحقيقة.

ثار المجتمع الأوروبي في القرون الفارطة على الكنيسة وعلى حكم الكنيسة، وسلطة الكنيسة الدينية التي اضطهدت العلماء وكل من تعاطف معهم، وهذه الفترة عرفت بعصور الظلام، في نفس الفترة التي كانت تعيشها الدول الإسلامية وتسمى العصر الذهبي، فترة تطورت فيها العلوم والمعارف في البلاد الإسلامية.

وكانت الدولة الإسلامية بحكم الدين الحاكم فيها وتعاليمه، تستقطب كل طالب للعلم وكل عالم بغض النظر عن دينه ولونه وعرقه، ومن المعلوم أن طبيب هارون الرشيد جبريل بن بختيشوع كان نصرانيا.

وبازدهار الدولة الإسلامية علميا واقتصاديا وسياسيا، مقابل انحطاط الدول الأوربية، ثار المتنورون على أنظمتهم الدينية والسياسية، لما تبين لهم بالمقارنة مع الدولة الإسلامية فساد ملوكهم وسلطتهم الدينية.

مثلت هذه الحادثة التاريخية نقطة سوداء في تاريخ الغرب، وقطعوا كل صلة تربطهم بالدين، وبالرغم من جلاء الحق الا انهم بقوا متشبثين ببعض تعاليم الكره

والبغضاء تجاه الإسلام التي كان لكنائسهم الدور الكبير في غرسها في نفوسهم. وبالتالي أنكروا كل تفسير ديني، خوفا من وصفهم بالرجعية والظلامية، ويفسره ما يتعرض له المسلمون الجدد في هذه المجتمعات وهذه الأوساط.

وفي نفس إطار انكار وجود الله والأديان، ذهب الماديون قديما إلى أزلية المادة والكون، وأنها أصل الحياة، وبحسب ذلك فإن المادة الجامدة ولّدت الحياة، وهذا ما لا يمكن لعاقل قبوله أو تصديقه. وأخذت التخمينات والنظريات مكان الحقائق العلمية.

وبعد اكتشاف بداية الكون، تمسك البعض بنظريتهم وتعصبوا لها، واتخذ آخرون منحى آخر وصاروا من مناصري الصدفة العمياء، وتطورت هذه الفكرة لتصير بحسب زعمهم حقيقة علمية، بالرغم من عدم وجود دليل واحد عليها، سوى انكارهم للتفسير الديني، أو بالأحرى تسليمهم لحقيقة أن القرآن ككتاب ديني سبقهم في تفسير تفاصيل بداية الكون.

مشاكل نظرية التطور

أول مشكل يعترضنا فيما يخص نظرية التطور هو المراحل التطورية المفقودة، لأن سلسلة التطور مفقودة. ثاني مشكلة المكونات أو الأشياء المكونة للجسم الأول أو الخلية الأولى، من أين جاءت وكيف صنعت. ثالث مشكلة لو سلمنا بصدفة البداية وتكون الخلية الأولى كيف اكتسب كل كائن خصائصه وطور نفسه من خلية واحدة صماء عمياء مع العلم أن الخلايا تختلف مع بعضها البعض، فخلايا العين ليست كخلايا العظم ليست كخلايا العضلات ونحوه. رابع مشكلة ما يسمى بالطفرة التي تنتقل من جيل إلى جيل لتسبب التطور، هل ثبت فعلا أن الطفرة فاعلة بذاتها ولماذا جميع التجارب بالفشل وعاد الكائن بعد عدة أجيال إلى حالته الأولى؟

هذه بضع المشكلات التي تحيط بهذه النظرية، تبقى الإجابة عنها مستحيلة وغير ممكنة وتبقى عائقا لكل من يدرس هذه النظرية دراسة تدقيق وتحقيق. ونعود بذلك لنقطة البداية، من أوجد الخلية الأولى، وهل يمكن للفوضى والصدفة أن تصنع نظاما دقيقا، وهل أن الخلية العمياء تملك العقل والعلم والقدرة على التطور؟

لا يمكننا بأي شكل من الأشكال اعتبار التأقلم تطورا. ولا يمكننا قبول نظرية باءت جميع التجارب والاختبارات الساعية لإثباتها بالفشل الذريع، فهي بذلك تعتبر مجرد تخمين لا دليل تطبيقي على حقيقته ولا دليل عقلي أو منطقي على احتمالية حدوثها. ويبقى التعصب لها تعصبا أيديولوجيا لا يمت للعلم بصلة.

شهادة العلماء عن التطور

يقول البروفيسور ألكسندر مينيج، البروفيسور في علم الأحياء، عن مسألة أن الحياة بدأت بالصدفة في المحيطات: "لم تدعم الأدلة التجريبية الفرضيات القائلة أن الحياة ظهرت فجأة على الأرض من مجرد حساء بدائي، ولم يحقق العلم أي تقدم ملحوظ يقودنا في هذا الاتجاه" [1]

يقول روبرت شابيرو بروفيسور متقاعد في الكيمياء من جامعة نيويورك تعليقا على تجربة ميلر سنة 1935 التي حاول أن يحاكي بها الجو الأرضي الأول وإنتاج بعض الأحماض الأمينية متجاهلا أن الحياة ظهرت من العدم وليس من مكونات سبق وجودها على الأرض، كما أن جو الأرض الأولي ما يزال مجهولا لدينا ولا يمكننا محاكاته بصفة يفترض أن تكون صحيحة: "يفترض بعض الكتاب أن مقومات الحياة كلها يمكن تكوينها بسهولة من خلال تجارب تشبه تجربة ميلر، وأنها كانت موجودة في أحجار نيزكية. لكن هذا ليس صحيحا" [2]

كما رد روبرت شابيرو على الفكرة القائلة أنه يمكن لمجموعة من العناصر الأولية أن تشكل حمض نووي قادر على التناسخ أو نواة حياة بصفة عشوائية: "ضئيل جدا

---

[1] How Life Began—Evolution's Three Geneses, by Alexandre Meinesz, ranslated by Daniel Simberloff, 2008, pp. 30-33, 45.
[2] Scientific American, "A Simpler Origin for Life," by Robert Shapiro, June 2007, p. 48.

لدرجة أن حدوثه ولو مرة واحدة في أي بقعة من الكون المرئي يعد ضربة حظ استثنائية" [1]

وعلق الباحث هيوبرت يوكي المؤيد لنظرية التطور على التجارب التي يحاول العلماء اجرائها لتشكيل البروتينات من مواد سابقة التكوين أو لتشكيل الأحماض الأمينية من خلال بعض الغازات والمواد الكيميائية بتمرير الكهرباء في هذا المزيج ظنا منهم أن الحياة بدأت بالبروتينات: "مستحيل أن تبدأ الحياة بالبروتينات". ولكن يبدو أن هؤلاء العلماء تجاهلوا أن البروتين الواحد قد يحتوي مئتي حمض أميني. بل ان تشكل بروتين واحد مكون من 100 حمض أميني فقط بصفة عشوائية هي واحد من مليار تقريبا. البروتينات تلعب دورا في انتاج الحمض النووي الريبي (الرنا)، كما يلعب الرنا دورا مهما في انتاج البروتينات. وحتى ان فرضنا ظهور كلا منهما صدفة في مكان وزمان واحد رغم أن هذه الفرضية شبه مستحيلة، فإنشاؤهم للحياة عن طريق أي شكل من أشكال الحياة قادر على التناسخ والقيام بنفسه معدومة أيضا. وفي هذا السياق يقول الدكتور كارول كليلاند، العضو في معهد ناسا لعلم الأحياء الفلكي: "ان احتمال حدوث ذلك بالصدفة (انطلاقا من مزيج عشوائي من البروتينات والرنا) ضعيف إلى أبعد حد. مع ذلك، يبدو أن معظم الباحثين يحاولون أن يفهموا كيف يمكن أن تظهر البروتينات والرّنا كل على حدى في ظل الظروف البدائية الطبيعية. أما تعاون هذه الجزيئات فيعتبرونه تحصيل حاصل" [2]

---

[1] Scientific American, June 2007, p. 47, 49-50

[2] NASA's Astrobiology Magazine,"Life's Working Definition—Does It Work?" http://www.nasa.gov/vision/universe/starsgalaxies/life'sworkingdefinition.html), accessed 3/17/2009

ذهب بعض العلماء إلى أن الحياة جاءت إلى الأرض من العالم الخارجي، وذلك بوجود بعض الأحماض الأمينية في أحد النيازك. لكن هذا يعطي تفسيرا أن الحياة لم تنشأ بالصدفة أو بالتطور، فالسؤال هنا من أين أتى النيزك، من خلقه، ومن خلق هذه الأحماض الأمينية؟

وهذه الفكرة القائلة بأن الطبيعة هي من أنتجت الحياة فكرة باطلة، فالآلات المعقدة التي نراها اليوم صممها ذكاء الانسان ولم توجد من فراغ أو دون مصمم ذكي. ويدعم الاختصاصي في الأحياء المجهرية رادو بوبا هذه الفكرة بسؤاله: "كيف يمكن للطبيعة أن تنشئ حياة في حين أننا نحن، من نتحكم كاملا في الاختبارات التي نجريها، فشلنا في ذلك[1] ". وقال أيضا: "ان الآليات اللازمة لعمل الخلايا الحية معقدة لدرجة أن ظهورها كلها في الوقت نفسه بالصدفة أمر مستحيل". [2]

وشهادة العلماء شهادة منطقية إضافة إلى أنها شهادة علمية. فالتعصب لنظرية تفتقر للدليل اليقيني يتعارض مع الأمانة العلمية والجدية في البحث عن الحقائق الكونية.

---

[1] Between Necessity and Probability: Searching for the Definition and Origin of Life, by Radu Popa, 2004, p. 129.

[2] Between Necessity and Probability: Searching for the Definition and Origin of Life, pp. 126-127

الفصل الثاني

التطور وأدلته

أدلة على التطور

أولا، لا يمكننا الفصل بين نشأة الحياة ونظرية التطور. فخلق نواة أولى للحياة مثل الخلية أو المجموعات الأساسية للحيوانات ثم تركها لتتطور بمفردها ليس الا مجرد فكرة ناقصة. فهذا يثبت أن هذا الخالق عاجز، وبالتالي إذا كان عاجزا فلا يمكنه الخلق من الأساس. وبالحديث عن هذه النظرية، لابد وأن نشير إلى ما سموه البعض من العلماء أدلة. أو الأحرى ما يريد البعض منهم جعله دليلا.

كما لا يمكننا اعتبار أن جمجمة واحدة أو عظم واحد أو مثال واحد دليلا على نظرية تفسر تطور ملايين الكائنات الحية، فلا بد من وجود آلاف الأدلة على الأقل، ان لم نقل دليل لكل مثال تطوري.

وبالرغم من ذلك سعى أنصار نظرية التطور إلى اثبات هذه النظرية بشتى الطرق، فوصل بهم الأمر إلى تزوير الأدلة، بمحاولة تقديم جماجم على أساس أنها تعود لإنسان عاش في حقبة زمنية غابرة كمثال ودليل على ما كان عليه الانسان قديما قبل التطور.

وفي الصفحات القادمة سنقدم هذه الأدلة التي ساقوها أنصار التطور على أنها حقيقة وتم سحبها أو كشفها في الوسط العلمي، وتم تفنيدها بالدليل العلمي وباعتراف بعضهم.

إنسان بلتداون

في سنة 1912 اكتشف أحد الأشخاص يدعى تشارلز داوسن بقايا انسان في بلتداون من إنجلترا. وسمي هذا الانسان على المنطقة التي وجد فيها وهي بلتداون. وتمثل الاكتشاف في أجزاء من هيكل عظمي وفك سفلي، واعتبر العلماء في ذلك الوقت أن هذا الانسان هو الظهور الأول للبشر على الأرض منذ نصف مليون عام.

وقد استغل العلماء في ذلك الوقت هذا الاكتشاف لإثبات نظرية التطور، فقاموا بنحت وتخيل شكل هذا الانسان بالاعتماد على العظام القليلة المذكورة، وحدثت هالة إعلامية كبرى تثمن هذا الاكتشاف. وبرغم اعتراض بعض العلماء بإشارتهم إلى أن هذه العظام قد تعود إلى كثير من الكائنات، الا أن المتعصبين لنظرية التطور رفضوا هذا الاعتراض بشدة وبتعصب أعمى لإثبات أن هذا الاكتشاف خال من العيوب.

استمر الجدل بخصوص هذه البقايا الى سنة 1953، بين شكوك وتساؤلات وبحث، ليكتشف العلماء أخيرا أن هذه الجمجمة نصفها الأعلى يعود للقرد، والجبهة شبيهة بجبهة الانسان والأغلب أنها تعود له أو تعود لقرد أورانغوتان الشبيه بالإنسان.

وفي نفس السنة قام الباحثون بفحص الجمجمة بأشعة اكس والآزوت السائل، ليكتشفوا أن عمر الجمجمة الذي أعلن عليه سابقا خاطئ، فهي ليست بهذا القدم.

فالنتائج أكدت أن العظام تعود للإنسان الحالي، وعندما وضعوا العظام في الحمض اختفت البقع الموجودة عليها. فكان هذا اثباتا عمليا على أن العظام المكتشفة تم التلاعب بها لتظهر بهذا الشكل الذي حاول أنصار التطور اظهاره للعالم. وبفحص الأسنان تحت عدسة المجهر الضوئي، تبين أنها سنان انسان تمت غراستها صناعيا في فك القرد وتم بردها لتظهر على أنها حقيقية.

المصادر:

John E. WALSH, Unraveling Piltdown Man: The Science Fraud of Century and Its Solution. Random House, 1996.

-Kenneth FEDER. Frauds, Myths and Mysteries: Science and Pseudoscience in Archaeology. McGraw Hill; 73-101, 2008.

-Miles RUSSELL, Piltdown Man: The Secret Life of Charles Dawson and the World's Greatest Archaeological Hoax, Stroud, Gloucestershire: Tempus Publ., 2003.



صورة لجمجمة انسان بلتداون

انسان جاوه

لا تختلف قصة هذا الأخير عن قصة انسان بلتداون، فقد تم بناء هذه القصة وتصميم صورة هذا الانسان بالاعتماد على بضع عظام مكتشفة في أماكن مختلفة وفترات زمنية متباعدة. حيث بدأت القصة في 1891، في منطقة تدعى جاوة في أندونيسيا.

في بعثة الجيش الملكي البريطاني لأندونيسيا، فشل الطبيب الهولندي المرافق لهذه البعثة يوجين ديبوا في اكتشاف أي دليل أو حفرية تثبت نظرية التطور، حيث أن عامليه عثروا في تلك القرية سنة 1890 أي قبل سنة على قطعة من فك سفلي وسن واحدة أثناء الحفريات التي كان يجريه هناك. وفي السنة التي تليها عثر على قطعة من جمجمة كان واضحا انها لا تعود الى انسان عادي، فقد كان حجم الدماغ صغيرا.

وفي نفس السنة تقريبا، عثر على عظم انسان، يبعد حوالي 40 متر عن مكان اكتشاف تلك القطعة من الجمجمة. وبدون أي دليل أو بحث، أعلن ديبوا أنه عثر على عظام تعود الى مخلوق واحد، وهو من الحلقات المفقودة لسلسلة التطور، وتصدر بذلك قائمة المكتشفين ونال الثناء الكثير والعظيم على هذا الإنجاز. وتم تبني هذا الاكتشاف من أنصار التطور ليصير حقيقة علمية بحسب زعمهم وتعصبوا لها كما حدث مع مثيلاتها من الاكتشافات المزعومة. وقد أعلن التطوريون في

ذلك الوقت أن هذا الاكتشاف هو أول اكتشاف لقرد منتصب القامة، أو انسان قديم يمشي منتصب القامة مازال لم يتطور بعد الى الانسان الحالي. وبالتالي صار هذا الاكتشاف محوريا.

وفي المؤتمر الذي انعقد سنة 1895 تصدى الدكتور فيرشاو لهذه المهزلة وأعلن أن العظام المجمعة تعود لقرد وانسان، وطالب بالدليل على صحة ما ادعاه ديبوا، لكن الأخير لم يقدم أي دليل على ذلك.

فقد اكتشف الدكتور فيرشاو أن الجمجمة تعود لقرد والعظم يعود لإنسان، وأن ما ادعاه ديبوا أن عمر عذا الأحفور مليون سنة باطل لعدم وجود دليل علمي وادعى ذلك دون اجراء أي اختبار يثبت ذلك. كما أن ديبوا برر وجود الأجزاء متباعدة عن بعضها كل هذه المسافة بأن الحمم البركانية وسيول الأمطار هي من جرفتها.

وبدأ الشك يتسلل إلى الجامعات العلمية، فأرسلت ألمانيا بعثة سنة 1907 متكونة من مجموعة خبراء من برلين، توجهوا بداية إلى جاوة، ليكتشفوا أن المنطقة التي عثر فيها على العظام هي منطقة حديثة لأن بركانا كان قد انفجر من فتره قريبه وفاضت حممه ثم تغطت بطبقة رماد وطمي وهي التي دفن فيها العظام التي وجدها حيث أدى هذا البركان لموت الكثير من الكائنات في هذا الوقت. كما أن ديبوا رفض اطلاعهم على العظام المكتشفة التي جمعها ورفض أي تدخل منهم أو تحقيق متعلق بهذه العظام.

وفي سنة 1920 واصل ديبوا مسلسل الكذب، فادعى أنه عثر على جمجمتين أخريين في نفس المكان ونفس الزمان وأنه كان يخفيهما، وكانت المفاجأة صادمة

لما عرضهما للجميع ليكتشفوا أنها جماجم لإنسان عادي. لكن في سنة 1932 اعترف ديبوا أن الجمجمة الأولى تعود لقرد جيبون كبير كما نقل عنه ستيفن جاي.

وفي سنة 1932، أعلن كل من رالف فان كوينيسغالد وفرانز وايدنرايخ الخبيران في علم الأحياء أن هذا المسمى بإنسان جاوة وأحفور آخر باسم انسان بيكين (مثال تطوري مزور كانسان جاوة) كلاهما بقايا بشرية ولا تعود لأشباه البشر بأي شكل من الأشكال.

عام 1944 أكد ارنست ماير، عالم بيولوجي من جامعة هارفارد، وهو من أنصار التطور ما توصل اليه وأعلنه الخبيران سالفا الذكر.

المصادر:

Lubenow, Marvin. Bones of Contention: A Creationist Assessment of Human Fossils. Grand Rapids, MI: Baker BOOKS, 1992. p86.

Perloff, James. Tornado in a Junkyard: The Relentless Myth of Darwinism. Burlington, MA: Refuge BOOKS, 1999. p84

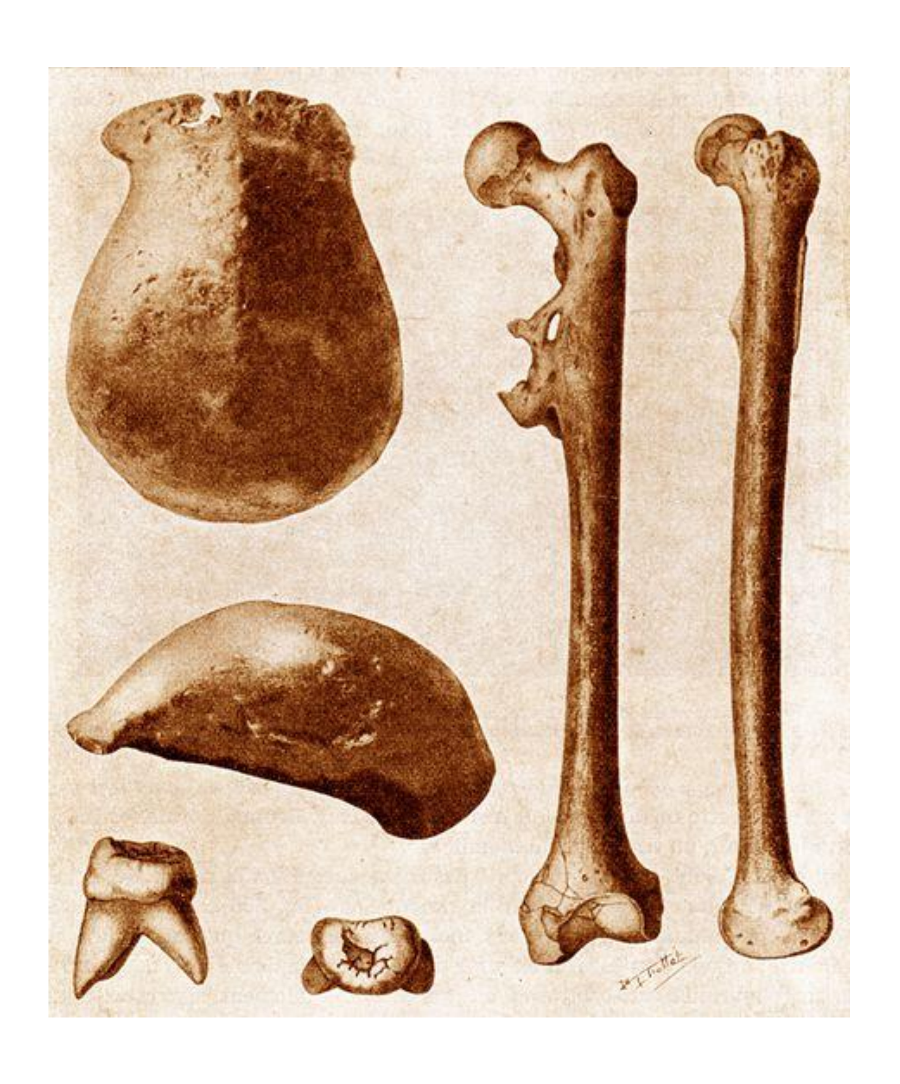
Lubenow, Marvin. Bones of Contention: A Creationist Assessment of Human Fossils. Grand Rapids, MI: Baker BOOKS, 1992. P90.

Perloff, James. Tornado in a Junkyard: The Relentless Myth of Darwinism. Burlington, MA: Refuge BOOKS, 1999. p84

Steven Jay Gould quotes Dubois as having written in 1932: "Pithecanthropus was not a man, but a gigantic genus allied to the gibbons

Gould, Stephen Jay, ‘Men of the Thirty-Third Division’, Natural History, April, 1990, pp. 12–24.

Eugene Dubois, "On the Fossil Human Skulls Recently Discovered in Java and Pithecanthropus Erectus," Man, VOL. 37, January 1937, p. 4.



مجموعة العظام المكتشفة لإنسان جاوة

انسان نبراسكا

قد يكون المثالين السابقين أقل تزييف وتزويرا، وما حدث أقل وطأة من قصة انسان نبراسكا، أو خنزير نبراسكا ان صح التعبير، وليس هذا بشتم أو ثلب بل هو الحقيقة التي عرفها الناس.

تبدأ هذه القصة في سنة 1917، حين عثر الجيولوجي هارولد كوك على أسنان ذات مظهر بشري، فقام بإرسالها سنة 1922 إلى رئيس المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي الأخصائي علم الحفريات الفقارية هنري فيرفيلد أوسبورن.

وبعد شهر واحد تقريبا قام هذا الأخير بإعلان أن هذه السن هي سن بشرية، تعود لأول قرد بشري أمريكي. وتواصلت رحلة هذه السن، بين أكثر من عشرين مؤسسة بحثية وأمريكية لفحصها، وقد شكك فيها الكثيرون كما أنكر البعض أن يكون أول قرد بشري قد ظهر في أمريكا الشمالية. وتواصل التخبط العشوائي بخصوص هذه السن.

أخيرا أعلن جرافتون إليوت سميث، عالم الأنوتمي البريطاني، أن نبراسكا هو من السلسلة التطورية، وذلك بالاعتماد على سن واحد. وما زاد الأمر تعقيدا، هو أنه أصبح مثالا تطوريا معتمدا. ورسم الفنان التشكيلي آميدي فوريستر لوحة فنية يظهر فيها هذا الانسان المدعو نبراسكا صحبة زوجته من مخيلته الخاصة. وبالرغم من توضيح ذلك واعتذار الفنان على رسمه الا أنه تمت إعادة نشرها مرة أخرى.

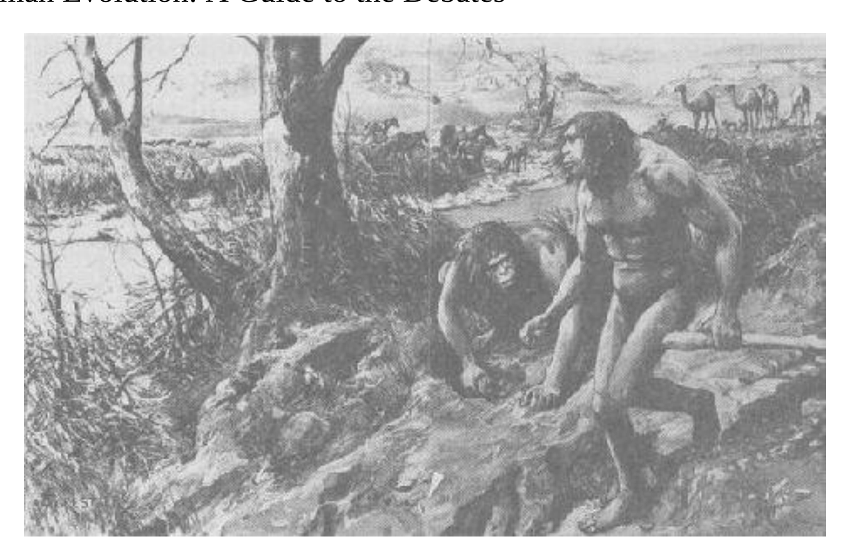
لم يكن هناك أي اثبات أو دليل واضح بخصوص هذا الاكتشاف، وتواصل البحث، والمقارنة بين هذا السن وأسنان القردة. لكن لم يتوصل الباحثون إلى أي نتيجة. وتواصل الحفر في نفس المكان الذي وجد فيه انسان نبراسكا، لكن بدون جدوى. وأعلن أخيرا ويليام كينج جريجوري سنة 1927 أن هذا السن شبيه بسن الخنزير المنقرض وأعلن عن عدم استمراريته في البحث والتنقيب بخصوص هذا السن.

وبالتالي فان هذا المسمى بإنسان نبراسكا مجرد وهم بني على سن تعود لخنزير منقرض على الأرجح.

المصادر:

ملخص من مقال من كتاب:

Human Evolution: A Guide to the Debates



الصورة التخيلية لإنسان نبراسكا

التطور نظرية أم ايمان

يتخبط أنصار التطور لإثبات هذه النظري بشتى الوسائل والطرق، محاولين إثبات الوهم بالوهم، أو إثبات الظن بالكذب. فالمهم لديهم إثبات أن هذه النظرية حقيقة يجب اتباعها.

وإيمانهم الأعمى بأن هذا الكون تولد تلقائيا بالصدفة، ونبذهم للإله والأديان ورفضهم لها، جعلهم يسعون بكل ما أوتوا من وسائل لإثبات نظرياتهم وإرضاء غرورهم وإقناع أنفسهم وغيرهم بأنهم على حق، وأن هذه الحياة ليست سوى مادية جدلية، البقاء فيها للأقوى، وما نحن سوى حيوانات تقودنا غرائزنا، فلنا الحق في اتباع شهواتنا وإرضائها، دون قيد ديني، ودون ضوابط تمنعنا من هذا أو ذاك.

حتى صار هذا المبدأ دينا، يدعون اليه بتعصب، ساعين جاهدين لإلغاء كل حقيقة تخالف أوهامهم، وحججهم العقلية في إثبات ما يؤمنون به ضعيفة، فضلا عن الحقائق العلمية التي تؤكد يوما بعد يوم بطلان هذه النظرية، التي بناها داروين على استنتاج خاطئ من خلال مراقبة أولية لصنف معين من العصافير.

فوقع التخبط والخلط بين التأقلم، وما استنتجه داروين أنه تطور. ولا أظن أن التطور حاصل إلا في هذه النظرية التي كلما تقدم العلم زادت تطورا في اِختراع أساليب اِثباتها، أو تطورت طرق إيهام الناس بحقيقته باِستنباط أدلة جوفاء أو

تزوير أدلة مادية. وهو إثبات لبطلان هذه النظرية شكلا ومضمونا، فالدفاع عن الحق يكون بالحق وللحق، لا بالغش والتزوير والكذب وخيانة الأمانة العلمية.

وتبقى الأسئلة الأكثر منطقية، هل يمكن للفوضى أن تنتج نظاما؟ لماذا تطور البعض من الكائنات والبعض الآخر لم يتطور؟ لماذا نجد المجموعات الأساسية للكائنات ولا نجد الحلقات التطورية؟ هل يمكن للمادة الجامدة انتاج حياة؟ كيف استطاعت السمكة تطوير جهازها التنفسي للعيش على الأرض عبر ملايين السنين، وكيف استطاعت فعل ذلك؟ هل يملك هذا الكائن ذكاء يجعله قادرا على ذلك؟ أم هل توفرت له في ذلك الوقت الظروف الملائمة أو المساعدات اللازمة؟

فكما أن الدليل على أن الله موجود، وأن الأديان من مصدر إلاهي سامي، والإيمان بهما قائم على اليقين، وعلى حكم العقل والمنطق، وجب أن يكون الإيمان بهذه النظرية قائم على نفس ما يقوم به الإيمان بالله واتباع الدين. وأهم ما يجب أن يتوفر فيه الدليل العلمي. فالملحد يرى أن المؤمن بالله غبي ومغفل يؤمن بسخافات، أو يراه مؤمنا بأساطير ومتعطش للتغذية الروحية. لكن الحقيقة تثبت أن أنصار التطور مؤمنون ايمانا أعمى بنظرية، تم اعتمادها لتفسير الوجود، كبديل عن قصة الخلق. وأرى أن انكارهم لقصة الخلق التي وردت في التوراة لا غبار عليه، لكن الأفضل أن يبحثوا بعقلانية ومنطقية، لا بإنكار وتعصب أعمى، بل ايمان أعمى بمجرد تخمين أو رأي مبتور. أن يبحثوا عن حقيقة الخلق وليس بذل الجهد في نقض قصة محرفة باطلة من الأساس. فلا يجوز التعميم واتهام كل الكتب والأديان بما يصح في حق الأديان الأخرى وتطبيقها على الإسلام.

الفصل الثالث

شهادة الكون

الزمان والمكان

انهارت نظرية أزلية المادة، بمجرد اكتشاف حقيقة بداية الكون التي أُطلق عليها اسم نظرية الانفجار الكبير. وهذه النظرية مبنية على أساس أدلة ومشاهدات. وكان لبداية ظهور هذا الكون، بداية لمفهوم الزمان والمكان. وبالتالي صارت حقيقة الخلق مدعمة بدليل علمي مبني على المشاهدة والإثبات إضافة للدليل العقلي.

قديما كان الدليل العلمي ينحصر فيما تم رصده في الطبيعة، من بداية حياة ونهايتها، أي المراحل التي تمر بها الكائنات والمخلوقات والموجودات الحية والمادية، من بداية وجود وفترة حياة ثم نهاية الوجود.

أما الزمان والمكان، فالثابت لدى علماء المسلمين، أنهما مخلوقان، وبالتالي يخضعان لقانون الوجود، كل موجود له بداية وجود، وكل موجود له واجد خصصه بالوجود، وهذا الواجد، هو الخالق، واجب الوجود، لا يفتقر لمخصص يخصصه بالوجود. فهو صاحب القدرة على الإيجاد من العدم، أي من الا شيء. وواجب الوجود هو الوحيد القادر على الإيجاد والخلق، وكل ما يسير في الكون بقدرته، وبصفات خصصها وأعطاها للموجودات.

أما بداية الكون، والاكتشافات العلمية المتصلة بها، والنظريات الفلكية الفيزيائية، كانت تشير مباشرة إلى حقيقة الخلق، في الوقت الذي ظن فيه البعض أن العلم

انتصر على الدين، وأن الإله وهم لا وجود له، وأن الكتب المقدسة ماهي الا افتراء وكلمات بشر، كان لإنشائها غايات سياسية وبشرية ومصالح خاصة.

لكن ما جاء في القرآن وما أثبته، هو ما أكده العلم الحديث. وعدم الالتفات للقرآن، أو الإقرار بما فيه من حقيقة، عائد لحقد أيديولوجي تاريخي قديم. كان للكنيسة الدور الأول فيه، من خلال ما روّجوا له من أكاذيب وافتراءات. فرسخت هذه الصورة في الأذهان.

كما كان للإعلام التأثير البالغ الأهمية، من حيث تغيير وجهة النظر، واتجاه بوصلة التفكير، من تفكير عقلاني منطقي، الى تفكير عاطفي يفتقر للحجة والبرهان. وساهمت القوى السياسية في رسم صورة للمجتمع الغربي، كمجتمع متقدم رائد متطور. ولكن في الحقيقة ما قامت به الدول الغربية لا يكاد يتجاوز السطو على علوم المسلمين وتلميع صورة علمائهم على حساب صورة علمائنا.

بل ان الحقيقة أنهم طمسوا حقيقة ما وصل اليه علماء المسلمين من اكتشافات وعلوم، في عصور كانت تسمى عصور الظلام في الغرب، وتسمى بالعصر الذهبي في بلاد المسلمين. فأغلب النظريات والاكتشافات إسلامية، كالجاذبية للبيروني، وكروية الأرض للشريف الادريسي، والمحرك الميكانيكي للجزري، والنظام الرقمي للخوارزمي.

ليس المجال للخوض في التاريخ الإسلامي، ولكنه مجرد تذكير وتنبيه ومفاتيح لفتح أبواب البحث واكتشاف الحقائق المغيبة والمطموسة من أباطرة الاستعمار الفكري.

ومن الأساسيات والمسلمات اليقينية عند المسلمين، مخالفة الخالق لخلقه في كل شيء. وأهم ما يصف به المسلمون الخالق بأنه مخالف لخلقه، أو مخالف للحوادث.

والحوادث جمع حادث، والحادث هو الذي له بداية لوجوده، وأحدثه مُحدث، أو خصصه بالحدوث، أي الوجود. فبالتالي لا يصح وصف الخالق بأي وصف بشري، وحتى ان ورد وصفه بالسمع والبصر والكلام، فيجب اعتماد القاعدة القرآنية التي تسبق كل وصف وهي "ليس كمثله شيء" فيكون التفسير لسمعه أنه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا، وكلامه ليس ككلامنا. وأنه لا يحتويه مكان ولا يجري عليه زمان.

وتنزيه الخالق عن المكان والزمان راجع لأنها حوادث مخلوقة بحسب العقيدة الإسلامية وما أقره العلماء قديما بالاعتماد على الدليل العقلي والقرآني. وهذه العقيدة ثابتة لم تتغير منذ بدأ الإسلام، وزادت رسوخا ويقينا بعد الاكتشافات العلمية الحديثة لغير المسلمين، كدليل من الأدلة القطعية على وحدة المصدر، أي المصدر الإلهي.

يقول أحد العلماء[1]: "قبل المتابعة من المهم أن نتذكر أن مصطلح "الكرة النارية البدائية" الأصلي يشير إلى بداية الكون، وبالتالي، لا يمكن أن تكون سببا في الكون. ثانيا، أن نتذكر أن هذه الحالة هي بالضرورة غير جوهرية وغير قابلة لا للزمان ولا المكان، فوفقا لمعظم العلماء هذا السبب غير مادي لا يخضع لزمان أو مكان. فالمادة والزمان والمكان خلقت ابان خلق الكون وبدئه.

---

[1] James E. Gunn, NScharmm, Beatrice M. Tinsley
الكون هل يتوسع إلى الأبد؟ (نشر في مجلة العلوم مارس 1976 ص65)

الانفجار الكبير وبناء الكون

بدأ الكون، بحسب نظرية الانفجار الكبير المبنية على الأرصاد، بكتلة مضغوطة، كل الكون في كتلة متناهية الصغر، ثم بدأت في التوسع، أو كما وصفها البعض بالانفجار، وبدأ هذا الكون بالتكون والبناء المنظم من الذرة إلى المجرة، فكل ثانية في هذا التوسع والبناء كان لها دور لا غنى عنه في تكوين الأجرام السماوية عامة.

وهذا البناء المحكم، الذي بدأ بانفجار أو بدأ بفوضى، من بدأه؟ ومن بناه؟ ومن أحكم بناءه؟ فهل يمكن أن تحدث الفوضى نظاما؟ وهل يمكن أن يكون هذا الكون من بناء قوانين الطبيعة؟ وهل أن قوانين الطبيعة تفسير للظواهر أم مسير لها.

لنبدأ بأصغر المكونات، الذرة، التي تتكون من نواة، والكترونات محيطة بها، سحابة من الالكترونات تدور حول المركز. وبنفس الشكل، شمس وتحيط بها مجموعة من الكواكب، وبالمثل المجرة، مركز يدور حوله مجموعة من النجوم، وهكذا الحال في الأبراج والعناقيد المجرية.

بعد هذا الاكتشاف، وكما ذكرنا سابقا، انهارت نظرية أزلية المادية، وتلاشت، ولم تعد ذات أهمية الا لدى البعض من المتعصبين لها المنكرين لكل وجه من وجوه الخلق من قريب أو من بعيد. وانهارت عديد النظريات الأخرى المنبثقة من حضارات قديمة، ومازال البعض يؤمن بها جحودا، كما دخلت قصة الخلق التوراتية

في نفق مظلم، بعد أن توالت الاكتشافات العلمية التي كانت كالمسامير في نعشها، كالتمثيل الضوئي واكتشاف عالم الحيوانات والحشرات.

كما أن أيام الخلق في الرواية التوراتية أيام حرفية. ومن المتناقضات فيها خلق الليل والنهار قبل خلق الشمس. فتذكر الرواية بداية في الموضع الأول ما يلي [1]:

4; وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. 5; وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.

وهنا يتبين كيف أن النور خلق قبل مصدره. ويذكر أن اليوم الأول يوم حرفي، بدليل مساء وصباح اليوم، بالرغم من أن الكون في تلك الحالة لا صباح فيه ولا ليل. كما ان الصباح والليل متصلان بالأرض والشمس أو أي كوكب وشمسه. ثم تذكر الرواية التوراتية أنه بعد خلق الليل والنهار خلق الأرض [2]:

10; وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ.

وبالرغم من أن الفقرة الأولى تشير إلى خلق السماوات والأرض في اليوم الأول، ووجود المياه ثابت في اليوم الأول، لكن ذكر لخلقه، فهل هو مخلوق أم أزلي؟ الا أنه يعاد هنا تفصيلها وخلقها من جديد [3]:

1; فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. 2; وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.

---

[1] (التكوين 1: 4-5, ترجمة فاندايك)
[2] (التكوين 1: 10, ترجمة فاندايك)
[3] (التكوين 1: 1-2, ترجمة فاندايك)

وتتواصل أيام الخلق، ليتم خلق النباتات والأشجار [1]:

11; وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. 12; فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 13; وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا.

وهكذا فقد بدأت الأشجار في النمو والتكاثر والإنتاج، ولكن كل ذلك في غياب الشمس، مصدر النور، العنصر الأساسي في عملية التمثيل الضوئي، وبالتالي تكشف هذه الرواية عن خطأ جديد [2]:

14; وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. 15; وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. 16; فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. 17; وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، 18; وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 19; وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا.

وهكذا بين مساء وصباح اليوم الرابع خلق الليل والنهار. وبعد خلق النور يخلق مصدره لينير على الأرض. بل خلق مصدرين للنور، الأكبر المقصود به الشمس، والأصغر المقصود به القمر. فجعل كل منهما مصدرا للنور بذاته وهو مخالف لما أثبته العلم. فالشمس هي المصدر الوحيد للضوء، والقمر عاكس له فيسمى نور.

---

[1] (التكوين 1: 11-13, ترجمة فاندايك)

[2] (التكوين 1: 14-19, ترجمة فاندايك)

وليس المجال لنقد رواية التوراة أو نقد التوراة بصفة عامة، بل هو المجال لبيان التناقض بين ما أثبته العلم وما كان مقررا كرواية خلق. وبالرغم من أن الرواية الانجيلية مختلفة تماما إلا أن المسيحيين لا يعتبروها قصة خلق، بل مجرد دليل على ألوهية المسيح، ولا تناقض التوراة بأي شكل من الأشكال. ويبدوا ذلك ظاهر في المقدمة الفلسفية.

أما القرآن، فهو كتاب ديني، ولكن رغم ذلك يحمل إشارات علمية، وهذه الإشارات دقيقة في وصفها، بل قد تكون أدق وصفا من التعبير العلمي الذي يضعه المكتشفون أو علماء الاختصاص. كما صرح كيث مور عالم الأجنة بعد أن اطلع على وصف خلق الجنين في القرآن، فغيّر على إثره الوصف المعتمد في كتابه. وتصريحه في ندوة صحفية عقدت في المملكة العربية السعودية متاح في مواقع الفيديو لمن يبحث عنه.

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز [1]:

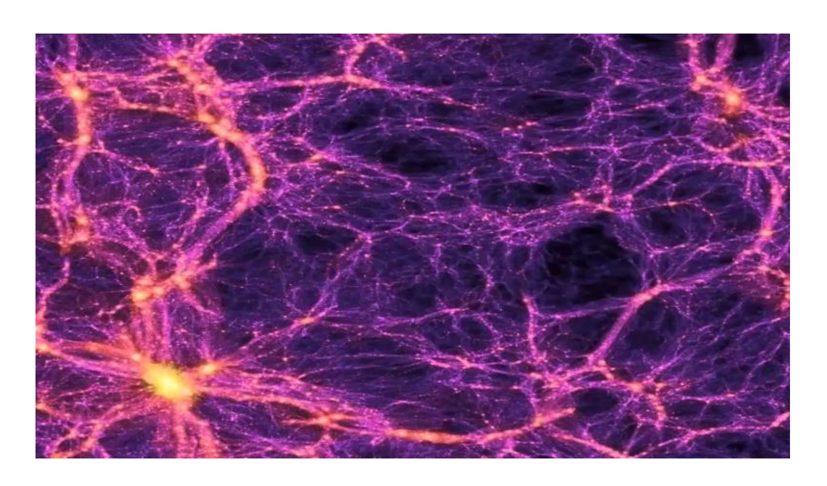
{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)}

مخاطبا بهذه الآية الكفار، وهذه إشارة إلى أن هذا الاكتشاف، أو هذه الحقيقة سيكتشفها غير المسلمين، وهذا ما تم فعلا. فمراكز البحوث والعلماء الذين اكتشفوا هذه الحقيقة من غير المسلمين. ثم نتأمل في باقي الآية، لنلاحظ لفظي "رتق" و"فتق". والرتق هو الكتلة المضغوطة، كما يطلق هذا التعبير على قطعة القماش.

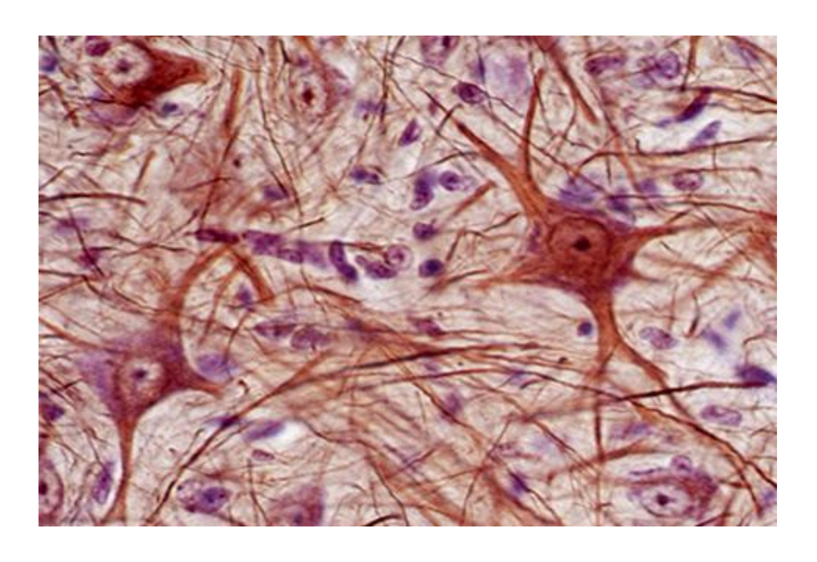
---

[1] (سورة الأنبياء 30)

وهو ما يذكرنا بالتعبير العلمي "النسيج الكوني" وهو صورة تكاد تكون مماثلة تماما "للنسيج العصبي"، والصورتان أكبر دليل على ذلك.



النسيج الكوني



النسيج العصبي

أما التعبير القرآني "**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**" فهو يحمل عدة معاني في باطنه، وأهمها أن الماء أصل كل حياة، والماء هو مكون أساسي لأغلب الصناعات ان لم يكن لكلها. فالماء لا استغناء عليه في الحياة. حتى ان علماء الفلك، في بحثهم عن الحياة في الكواكب الأخرى، يعتمد بحثهم في الأساس على إيجاد الماء في المقام الأول.

أهمية الماء واستعماله في حياتنا اليومية لا تقتصر على الشرب والطبخ والغسل والتنظيف، بل هو عنصر أساسي في كل المجالات والصناعات والحياة بدونه مستحيلة.

توسع الكون والدخان

بعد ما حدث الانفجار الكبير أو كما يسميه البعض الانفجار العظيم، بدأ هذه الكون في النشوء والتوسع، وهذا أمر طبيعي. فكل انفجار يليه تشتت للمادة المنفجرة. لكن ما حدث في هذه الحادثة، لا نستطيع التسليم بأنه انفجار حقيقية، لكن اختار العلماء هذا الاسم بالاعتماد على اكتشافات ومشاهدات واختبارات.

ومن الاكتشافات الدالة على هذا الانفجار أو هذه البداية للكون مشاهدات ادوين هابل، التي اكتشف فيها توسع الكون، بنسق متسارع يزداد يوما بعد يوم. وقد اعتمد في ذلك على التدرج الضوئي للنجوم.

فالضوء الذي نراه ليس دليلا على وجود نجم الآن في ذلك المكان، بل هو دليل على أنه وجد في الماضي البعيد جدا، منذ فترة زمنية طويلة جدا، قد تقدر بملايين السنين الضوئية.

والسنة الضوئية هي وحدة قياس للأبعاد الفلكية، وهي كالآتي:

تقدر سرعة الضوء بـ 300 كيلومتر في الثانية، يعني أن الضوء يقطع 18 كيلومتر في الدقيقة وهي الدقيقة الضوئية، أي يقطع الضوء 9461 ألف مليار كيلومتر في السنة، ويسمى تريليون ويكتب بالأرقام 10^{12}.

هذه المعارف تقودنا لحقائق كثيرة ومتعددة، واكتشافات علمية مقترنة بهذه المعادلة غيرت تغييرا جذريا في علم الفلك، فخرجنا من النظرة البدائية الكلاسيكية للأرض المحيطة بها مجموعة أجرام صغيرة مشعة، إلى كون مترامي الأطراف، به الملايين وآلاف الملايين من الكواكب والنجوم والمجرات.

وفي هذا السياق يقول الله عز وجل [1]:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

هذه الآية تخبرنا عن عظيم قسم الله، وهو مواقع النجوم، وعظمة القسم في اثبات هذه الحقيقة، التي بدورها كانت اكتشافا عظيما غيّر الكثير من المفاهيم المتعلقة بعلم الفلك، وبالتالي الاكتشافات التي بنيت على هذا الأساس وأهمها بداية الكون.

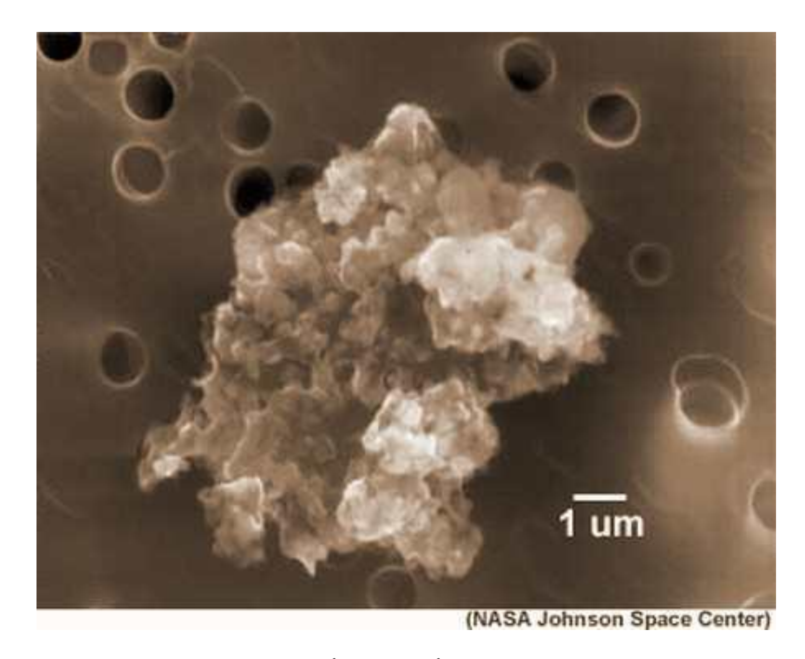
والنجوم هي أجرام غازية، كتلة ضخمة من الغازات المشتعلة، والشمس هي نجم من النجوم، لكنها مقارنة بغيرها من النجوم صغيرة جدا، ويتم ولادتها باندماج الغازات والانكماش في درجة حرارة هذه الغازات حتى تصير كرة من البلازما بفعل جاذبية العناصر الذاتية فيها، وشيئا فشيئا تبدأ هذه الكرة بالإضاءة ويكون هذا الأمر إشارة على ولادة النجم. وهذه الغازات سماها البعض غبارا كونيا، وسماها البعض دخان. اذن هو الدخان وليس الغبار.

بعد الانفجار، بدأت سحب من الدخان بالتكون، وبالتالي تتجمع لتكون النجوم، وكذلك تكون المجرات. ولكن، ذهب البعض إلى أن الدخان ما هو إلا غبار كوني وليس بالدخان. ولكن التعبير العلمي بالإنجليزية هو الكلمة (SMOKE)، والتي

---

[1] (سورة الواقعة 75 - 76)

تعني دخان. والصورة المرافقة هي صورة لجزئيات الدخان الكوني، وهي عينة خضعت للتحليل المباشر بالمجهر الالكتروني. لتثبت أنها سحب دخان. وليس غبار.



(NASA Johnson Space Center)

وهذا الدخان يسمى سديم، والصورة أدناه لنشأة نجوم جديدة في "سديم القاعدة" يظهر فيها الدخان وبداية ولادة النجوم.



والصورة أدناه هي لما يسمى بسديم النسر، أو كما يسمى أعمدة الخلق، وهو من أشهر السُّدُم. وقد سمي بالنسر لشبهه بالنسر، وهذا السديم يبعد عنا حوالي 7000 سنة ضوئية، ويبلغ حجمه 20 سنة ضوئية. ويصل طول أبراجه من 5 إلى 9 سنوات ضوئية. وتوجد على قممها مناطق تنشأ فيها النجوم، لذلك سمية بأعمدة الخلق.



الصورة لسديم النسر ألتقطت بتلسكوب هابل الفضائي ونشرتها وكالة ناسا في 22 أفريل 1995 وتعتبر من أفضل عشرة صور التقطها تلسكوب هابل الفضائي

وفي النظر والتأمل في هذه الصورة، وفي جميع الصور المتوفرة على المواقع الخاصة بعلم الفلك، وأهمها موقع وكالة الفضاء الأمريكية ناسا نرى بوضوح تام، ودون اللجوء للصور الميكروسكوبية، تشكل الدخان، والصورة خير دليل، وان كانت دليلا صامتا.

ومما ذكر في القرآن الكريم قوله عز وجل [1]:

{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)}

والسماء المذكورة هنا هي الكون، وذلك ما تفسره الآية التالية [2]:

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47)}

وفي الآيتان أدلة قطعية على أن كاتب القرآن على علم بالبناء الأول للكون ونشأته ومراحل تكوينه من جهة. وعلى علم بمكوناته بل أهم مكوناته وهو الدخان من جهة أخرى.

كما أن كاتب هذه السطور، على علم تام بتواصل توسع الكون، ولفظ "بناء" المذكور هو دليل على النظام والتنسيق في الكون، ونبذ العبث أو الفوضى بجميع أشكالها.

قد تكون الصدفة في آية، أو اثنتين. أما أن يكون الرابط بين آيات الخلق ترابطا متينا أُختيرت ألفاظه وتعابيره بدقة ووصف لا خطأ فيه فهذا عين الكمال. وقد يذهب البعض لنقد آيات أخرى بظاهرها او باجتزائها من سياقها، فالأمانة العلمية تقتضي توضيح ما تم ذكره من حقائق في هذه الآيات، ثم الانتقال لمناقشة كل شبهة هي في حقيقتها ليست أكثر من وهم.

---

[1] (سورة فصلت 11)

[2] (سورة الذاريات 47)

الحياة على الأرض

ثم لننظر حولنا، في الحيوانات مثلا، تتنفس الأكسجين، وتشرب الماء، وتتغذى على غذاء معين بحسب صنفها ونوعها. فحتى النباتات بحاجة للهواء، تحديدا ثاني أكسيد الكربون الذي ينتجه الانسان والحيوان، وبحاجة للماء والغذاء من المواد العضوية الموجودة في التربة.

يأكل الانسان الحيوان، ويأكل الحيوان النبات، ويتغذى النبات على بقايا الانسان والحيوان، سواء بقاياه العضوية، أو بقاياه بعد موته ودفنه وتحلله في التربة، وحتى ثاني أكسيد الكربون الخارج منه والزائد عنه. فهذه سلسلة محكمة بين مجموعات الكائنات على الأرض.

وبمزيد النظر في عالم الحشرات، وعالم الحيوان، وحتى عالم النبات نرى حلقات مصغرة، تربط الحياة بعضها ببعض. ففي الغابات الأوراق التي تسقط على الأرض تمثل مادة عضوية نافعة للتربة مثلها مثل فضلات الحيوانات. والحيوانات اللاحمة تحافظ على استمرار وجودها باقتراس الحيوانات العاشبة، وهذه الأخيرة يصير ما تبقى منها مواد عضوية مفيدة للأرض لتصير خصبة وتتغذى النباتات على هذه المواد العضوية. والحيوانات العاشبة تتغذى على النباتات، وهكذا دواليك في سلسلة متصلة مغلقة.

فقدان حلقة من السلسلة يعني الاختلال التام، بل يمثل كارثة طبيعية. فكل مجموعة من الحيوانات أو النباتات أو الحشرات لها وظيفة محددة، تحافظ بها على التوازن البيئي وعلى استمرارية الحياة.

وقد يسأل سائل ما دخل هذا الموضوع في خلق الكون. الجواب هو، لو أن الكون بدأ صدفة، وهذه الكائنات تطور بعضها من بعض لما حصلنا على هذا التوازن. فهذه السلسلة المتصلة حلقاتها تدل بصفة قطعية على وجود جميع الكائنات دفعة واحدة في حقبة زمنية واحدة، والا لما كان لهذه الحياة وجود بهذه الطريقة.

ولو كان صانع هذا الكون اعطى إشارة الانطلاق ثم تركه ليتوسع ويتكون بمفرده دون تدخل منه، لما كان لكون بهذه الدقة وجود، والقصد هنا التصميم الذكي في الكائنات الذي لا يمكنه أن يتم من تلقاء ذاته. فمن صاحب التصميم؟ ومن قام ببناء هذه الحلقات؟ وهذا النظام البيئي المتوازن؟ لدرجة أن أصغر حشرة في هذا الكون لها دور خاص، ووجودها ليس عبثيا أو مجرد وجود من قبيل الصدفة.

والبعض يتساءل، ماذا بخصوص الحيوانات المنقرضة، فقد فقدنا منذ عصور خلت الكثير والكثير من الحيوانات، لماذا لم يختل التوازن البيئي؟ ولماذا لم تحدث الكارثة الطبيعية؟

للتوضيح، الحيوانات المنقرضة تنتمي لمجموعات من الحيوانات المشابهة لها، مثلا لو نذكر الأسد والنمر والفهد كلها تنتمي لمجموعات القطط، والماموث هو من نفس عائلة الفيلة، والفيلة كثيرة ومختلفة، منها الفيل الهندي والفيل الافريقي. وكل حيوان منقرض ينتمي لعائلة موسعة تحمل نفس الخصائص تقريبا. وكأن المصمم

له فكر استباقي، حول ما سيقع من جرائم إنسانية في حق الحيوان، أو ما سيكون من كوارث طبيعية مدمرة، فقام بتصميم مجموعات حيوانات تماز بخصائص مشتركة، وفقدان أحد الحيوانات أو الأجناس من المجموعة لا يمثل خطرا بيئيا كارثيا، وذلك عائد لوجود حيوانات أخرى شبيهة به، تقوم مقامه وتحمل نفس خصائصه وتحافظ على التوازن البيئي في صورة غيابه أو انقراضه. والخالق كامل العلم وما قلت كأن المصمم له فكر استباقي الا لتوضيح الفكرة من زوايا متعددة ووجهات نظر مختلفة.

وقد أخبر القرآن الكريم عن هذه المجموعات والأنواع، وقد عرفهم القرآن الكريم بلفظ "الأمم"، وشبههم بأمم الشعوب الإنسانية، أي أنواع وأصناف وأجناس، فنجد الشعوب منقسمة بحسب أنواعها وألوانها، كالآسيويين والأفارقة والقوقازيين والعرب وغيرهم.

والتدقيق والتفصيل يأتي بيانه في لفظ "دابة"، ولفظ "أنعام" للتفريق بين الحيوانات والحشرات، ولتعميم جميع ما يعيش على الأرض، وبيان فائدتها للإنسانية جمعاء، سواء بتفصيل ذلك في القرآن أو ورود ذلك في السنة النبوية الشريفة.

وقد ورد في القرآن كريم ذكر لمنافع الحيوانات. وكلمة منافع التي وردت في الآية لفظ عام، يزداد وضوحه في كل عصر. فقد كان في الحيوانات أمثلة ونماذج ملهمة للمهندسين والمصممين لاختراع آلات البر والبحر والجو. كالطائرات والسفن والغواصات وحتى السيارات بما تميز به من خصائص وتقنيات متطورة. قال تعالى:

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)}[1]

هذا التصميم الذكي عائد لخالق عليم، وأخبرنا بذلك في كتابه العزيز [2]:

{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)}

وهو البيان لما يقوم به كل مخلوق، كل له وظيفة وله دور في الحياة، وهذا الدور أعطاه الله له، فنرى الحيوانات الغير عاقلة تقودها غرائزها وتتحكم في حركاتها.

وفي موضع آخر قال عز وجل [3]:

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (81)}

كما ان منافع الحيوانات للإنسان ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز، فخلقها ليس عبثيا أو عشوائيا ليعلمنا ذلك، ويستعرض المثال الذي سبق ذكره، من خلال لفظ "ومنافع". ثم بيان لضرورة هذه الحيوانات [4]:

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ

1 (سورة الأنعام 38)
2 (سورة طه 50)
3 (سورة غافر 79 - 81)
4 (سورة النحل 5 - 8)

الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)}

وكم كان للدواب بجميع أنواعها منافع، وكم أفادت البشرية في كثير من المجالات، سواء في الأسفار والرحلات، أو في التجارة والنقل والأحمال، وكم كان لها الدور الأساسي في الحروب، خاصة الخيول للفرسان، والفيلة عند الفرس وقليلا عند الهنود. والأهم من ذلك ما توفرها لنا من مخزون غذائي، سواء كان لحوما أو ألبانا، وكذلك استغلال جلودها في الحياكة واللباس. فالحيوانات تبقى عنصرا هاما في حياتنا، لنا فيها منافع لا تحصى.

وفي العصر الحديث، عمل الكثير من الباحثين على مراقبة مجتمعات الحيوانات، فكان لهذه البحوث والاكتشافات الخير الكثير، لتكون لنا عبرة، وشاهدا على حقيقة يقينية وهي الخلق الثابت بالأدلة السابق ذكرها. وفي هذا السياق يقول الله تعالى [1]:

{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66)}

والآية تؤكد أن لنا في الحيوانات عبرة، وفي ألبانها منافع، ولن نخوض في معنى بين فرث ودم، والحقيقة العلمية الكامنة وراءها، لنترك للقارئ أبوابا للبحث تستند على أساس علمي.

1 (سورة النحل 66)

الفصل الرابع

شهادة الانسان

شهادة العلماء

كنا قد استعرضنا في الفصل الذي ناقشنا فيه نظرية التطور بعض أقوال العلماء بخصوص هذه النظرية. والآن ننتقل لشهادات أخرى، لعلماء الفيزياء والكيمياء والفلك، تناقش بداية الكون، وترد على بعض مما أعلنه أنصار التطور والصدفة العمياء.

وأقوال العلماء لا تخلوا من المنطقية في كل حال من الأحوال، غم أن البعض لديهم عاطفة لفكر أيديولوجي تاريخي حاقد على الدين وخاصة أولئك الذين يعانون من بقايا ظلام الكنيسة. كما أنها شرح علمي للظواهر الكونية، والمعادلات الحسابية، بالاستناد إلى حقائق علمية يقينية، لا مجال للعاطفة فيها، أو الانتصار لمذهب أيديولوجي معين. وهو ما نسميه بالأمانة العلمية.

يقول سي. س. لويس: "قوانين الطبيعة لا تنتج أي الأحداث بل تصف العلاقة الدقيقة بين الأحداث، بعدما أوجدتها الأسباب، مثل القوانين الحسابية التي تصف العلاقات بين جميع التحويلات المالية، إلا بالطبع إذا كان لديك المال من الأساس، وعند معنى من معاني قوانين الطبيعة التي تغطي جميع مجالات الفضاء والزمن تكشف عن الكون كله. أما التيار المتواصل من الأحداث الراهنة عبر الزمن هذا مصدره قوة أخرى. ومن يعتقد أن القوانين تستطيع التسبب في الأشياء كمن يعتقد أنه يمكن خلق المال من مجرد معادلات حسابية. فكل قانون فيه إذا

كان لديك (أ) إذن لديك (ب) لكن يجب أن تكون لك (أ) أولا حتى تحقق (ب) فالقوانين لا تخلقها من أجلك ".[1]

يقول السير آرثر أدنجتون وهو واحد من أهم علماء الفيزياء الفلكية في أوائل القرن العشرين: "ويبدو أن بداية الكون تثير مشاكل لا يمكن التغلب عليها إلا إذا وافقت على ما يعتبرونه خارق للطبيعة بوضوح ".[2]

وفي نفس السياق يقول رائد علم الفلك الحديث، آلان سانديج، وهو أول من اكتشف النجوم الزائفة: "وجدت أنه من غير المحتمل جدا أن مثل هذا النظام يمكن أن يأتي من الفوضى. يجب أن يكون هناك مبدأ تنظيم. الله بالنسبة لي هو لغز، ولكن هذا هو التفسير لمعجزة الوجود لماذا هناك شيء بدلا من لا شيء ".[3]

ويصر العلماء دائما أنه لا يمكن أن نفسّر التفسير. أي لا يمكن أن نجد سببا قد تسبب في السبب الرئيسي. بمعنى، أن الله هو التفسير الوحيد والمنطقي للوجود، فهو سبب الوجود، ولا يمكننا أن نسأل ما سبب وجوده وما تفسير ذلك. وهو ما أقره علماء العقيدة الإسلامية، منذ أكثر من ألف سنة وخاصة منهم الكلاميين، أن الله واجب الوجود، وهو تفسير أنه هو الموجد المطلق، بلا بداية ولا نهاية لوجوده.

يقول ادوارد أرثر ميلين، فلكي بريطاني مرموق فاز بالميدالية الذهبية للمجتمع الملكي الفلكي لسنة 1935: "بما أن سبب الكون جاء في سياق الانفجار والتوسع فهذا يجعل القارئ في حيرة. فالصورة لا تكتمل دون الله ".[4]

---

1 سي. س. لويس (المعجزات ص 93 – 94)

2 السير آرثر أدنجتون الكون المتمدد ص The Expanding Univers p 178

3 آلان ساندیج (Sizing up the cosmos p19)

4 أرثر ميلين (F. Heeren, Show me God p166)

تؤكد الدلائل والبراهين على وجود خالق للكون، لكن هذه الحقيقة لم تعجب الكثيرين، وحاولوا جاهدين انكارها، لكن الحق بين وواضح، فذهب بعضهم إلى القول بنظريات لا تستقيم في العقل، ولا يمكن أن تكون منطقية، فيبقى السؤال دائما، من أين أتت الانطلاقة؟ كيف بدأ كل شيء من لا شيء؟ وفي هذا السياق ظهرت نظرية الأكوان المتوازية، التي يقول صاحبها أن الأكوان تتولد بعضها من بعض بصفة لا نهائية. وهنا أريد أن أسأل، كيف ظهر الكون الأول؟ وهل أن لهذه السلسلة وجود بلا بداية؟ أو أن كل كون من هذه الأكوان موجود ومُوجد في نفس الوقت؟

قديما كانت تسمى هذه النظريات بالدور والتسلسل، وهي نظريات فلسفية باطلة. وللتوضيح، الدور يعني: لنفرض أن الكون (أ) أوجد الكون (ب)، والكون (ب) أوجد الكون (ج)، والكون (ج) أوجد الكون (أ). فيكون ذلك تحصيل حاصل أي إيجاد شيء موجود مسبقا وهو باطل. وهكذا نقع في دائرة مغلقة لا بداية لها، فتنعدم بذلك صفات الخالق عن كل طرف في هذه الدائرة، لأنه بكل بساطة يخضع لمن خصصه بالوجود ولا يمكن أن يكون خالقا بل هو مفتقر وعاجز محدود القدرة. أما التسلسل فهو بداية الخلق دون بداية، وقد ثبت لدينا أن للوجود بداية. وتسلسل الموجودات بلا نهائية باطل، لأنه ثبت لدينا أن للكون خالق.

يقول الفيلسوف ريتشارد سوينبيرن من أكسفورد: "الأكوان المتعددة نظرية تمثل قمة اللاعقلانية وهي محاولة لإنكار نظرية أنيقة وبسيطة وهي: الايمان بالله".[1]

[1] ريتشارد سوينبيرن (The existance of God p165)

صار التعصب للنظريات التي تنكر وجود خالق فعل ماضي، ولا يرتقي لمستوى الايمان، بل هو انكار أعمى لحقائق يقينية. فهذه النظريات باطلة من قبل البوح بها، لا لضعف دليلها فحسب، بل لانعدام الدليل القائم عليها والمؤكد لها بالكلية.

يقول عالم الناسا، الشهير ادوارد هريسونفلكي: "التعديل الدقيق للكون يوفر دليل قوي على التصميم الإلهي للكون وأنت لك الاختيار بين الصدفة العمياء للأكوان المتعددة والتصميم المسبق... الكثير من العلماء يقرون بانحناء لحجة التصميم الإلهي".[1]

ويبقى بعض الطبائعيين، متعصبين لفكرة أن الطبيعة قامت بتوليد هذه الحياة، وأن الطبيعة ذكية قادرة على الخلق، كما ذهب البعض إلى أن القوانين الطبيعية هي أصل الحياة أو هي التي أوجدت الحياة، متجاهلين أن القوانين الطبيعية ليست إلا مجرد تفسير وليست السبب.

يقول ألكسندر بوليانكوف، عالم فيزياء روسي مرموق، حائز على عدة جوائز: "نعرف أن الطبيعة تفسر بامتياز عن طريق الرياضيات لأنها من خلق الله "[2]

يقول لويس باستور، الغني عن التعريف: "المادة لا يمكن أن تنظم نفسها وحدها، اليوم لا يمكن لأحد أن يقول بأن الكائنات المجهرية ظهرت في عالمهم من دون الآباء" [3].

---

1 ادوارد هريسونفلكي (Masks of the universe p252 – 263)

2 ألكسندر بوليانكوف (October 13, 1986, Fortune. P57)

3 لويس باستور (Fox & Dose, Origine of life p 4-5)

العلم، ليس مجرد جرعة من بعض المفاهيم والتعريفات، بل هو استغراق، فهم للمعاني والتدقيق في التفاصيل. والاستغراق المقصود هنا هو دراسة المسألة الواحدة من جميع جوانبها، فبداية العلم سكرة، يظن الجاهل أنه بهذا النذر القليل وهذا الفتات صار عالما متبصرا، لكنه في الحقيقة يصح فيه ما أُثر عن الإمام الشافعي: "كلما ازددت علما، ازددت علما بجهلي". وهذه حقيقة العلم.

وفي سياق الحديث عن العلماء، يقول العالم الشهير، الغني عن التعريف إسحاق نيوتن: "لا يمكن لهذا النظام الرائع (الكون) أن يأتي إلا من إرادة السلطة المطلقة للكائن الذكي والأسمى" [1].

وها نحن الآن أمام حقائق يقينية، لا يمكن للعلم تفسير جميع الظواهر. فقد ذهب كثيرون لعلم التنجيم، ويفسر آخرون الخوارق بعالم ما وراء الطبيعة، وتختلف الآراء والأهواء. لكننا نجد أنفسنا في صدام مع البعض ممن يتخذون العلم دينا. منكرين أي ظاهرة خارقة للطبيعة، محاولين تفسيرها علميا، وان عجزوا ضموها للصدفة.

وهذه المادية المطلقة، نابعة من انكار باطني لوجود الله وحقيقة الأديان، إما رفضا لقيد الدين كما يراه البعض، أو بسبب حوادث تاريخية سابقة كظلام الكنيسة، أو الاضطهاد الديني من العائلة، أو شبهات كانت سببا في انكار الأديان وذمها. وبذلك يتولد التعصب الأعمى للمادية المطلقة وبالتالي السير في طريق أطول بكثير حتى يصل للحقيقة.

---

[1] إسحاق نيوتن، المبدأ الرياضي للفلسفة الطبيعية 1687.
(Philosophy of nature : Selections from his writings by H.S. Thayer P42)

وفي نقد المادية وذم التعصب للعلم المطلق للعلم النظري والنسبي، يقول الفيزيائي روبرت جاسترو، من أشهر الفلكيين في أمريكا، ومن علماء الناسا لأكثر من عشرين سنة: "العالم الذي يؤمن طيلة حياته بحجية وبقوة الدليل العلمي، تنتهي قصته ككابوس، حيث يتسلق فيه جبل المعرفة، وعند اقترابه من القمة، يصعد الحجر الأخير ليجد علماء الدين قد سبقوه إلى القمة بقرون" [(1)].

أما عن قصة الخلق، فهي تختلف من دين لآخر، ومن حضارة لأخرى، مثلما يختلف التصور العام للكون والحياة. وقد استعرضنا الفرق بين قصة الخلق في التوراة والحقائق التي ذكرت عن الخلق في القرآن الكريم، ومقارنة النصوص الدينية بالحقائق العلمية.

ولإكمال الحلقات، سنستعرض الآن البعض من شهادات العلماء والعظماء حول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وبذلك تكتمل الصورة، ويظهر الحق بدليل شهادة الكون والانسان.

---

[1] روبرت جاسترو (God and the Astronomers, p116)

إنصاف الرسول

صُنّف في انصاف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم العديد من الكتب والمقالات، كما صنّف أعداؤه الكثير من الكتب والمقالات لذمه. لكن شتان بين صادع بالحق، وبين مفتر قاده انكاره للحق ونصرته للباطل على الكذب وارضاء نفسه أو غيره. وكما مرّ معنا في الصفحات السابقة، فان كل دعوى تكون بدليل واضح، وبمصدر معترف به، فلا مجال للرأي أو العاطفة في قضايا مصيرية، وهي قضايا الايمان بالله عز وجل واتباع دينه، وتحديد المصير الأبدي.

وفيما يلي أقوال للعلماء والعظماء، في انصاف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، تصف حاله ومقاله وأفعاله، لتكون حجة على صدقه ودليلا على امانته وبراءته من افتراءات الحاقدين. وهذه الأقوال ليست سوى شهادات حق وليست الأساس في اثبات صدق ونبوة رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت لدينا أنه نبي صادق أمين. وانما لتشريف قائليها فهي وسام شرف لهم وليس لنا.

يقول جوستاف لوبون، طبيب ومؤرخ فرنسي: "إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد (صلى الله عليه وسلم) من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً صلى الله عليه وسلم مع أن التعصّب أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله ". [1]

---

[1] كتاب " حضارة العرب " ص 115

ويقول المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفنج: "وحتى في أوج مجده حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به ".[1]

ان التعصب الأعمى الذي تولد في الغرب كان من آثار حقد الكنيسة على مخالفيها، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم صادع بالحق، مؤيد من الله عز وجل، فلم يصمد أعداؤه أمامه لا بالحجة ولا بالبرهان، ولا حتى بالسيف.

فتقولوا الأقاويل وفجروا في خصامه والكذب عليه. وشاء الله أن يخرج من بني جلدتهم من ينصف الحق، بعد بحث ونظر وتدقيق، ليدافعوا عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون بأنه رجل صادق وعظيم.

يقول الكاتب والناقد والمؤرخ الإسكتلندي توماس كارليل: "يزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان.

كلا وأيم الله! لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتورِّد المُقْلتين، العظيم النفس المملوء رحمةً وخيراً وحناناً وبراً وحكمةً وحجة وإربةً ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك نفس صافية ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين.

والله إني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنُّع. إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ". [2]

---

1 حياة محمد " Life of Muhammad ص 302-303

2 من كتاب (Heroes and Hero Worship and the Heroic in History) وترجم للعربية تحت عنوان (محمد المثل الأعلى) طبعة مكتبة النافذة 2008. تعريب محمد السباعي. تقديم وتعليق د. محمود النجيري.

تقول المستشرقة الأسكلندية، زينب كوبولد، التي كان اسمها قبل اسلامها افلين كوبولد في انصاف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، لما رأته من الحق الذي كان سببا في اعتناقها الإسلام: "مع أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان سيد الجزيرة العربية فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراًّ كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحيان قليلاً لا يكاد يكفيه" [1].

وكم من مستشرق درس الإسلام بصدق وبحث عن الحق، ولم يكن بحثه نابعا من حقد أو بحث عن أوهام، ثم كان مصير البحث الفشل الذريع، فذهب قسم منهم للتحريف والكذب والافتراء، وذهب قسم آخر لمراجعة أفكاره وأحكامه المسبقة.

يقول الأسقف المسيحي البروتستانتي الأمريكي بنيامين بوسورث سميث: "لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها" [2].

ومن المستشرقين المنصفين وليام مونتغمري واط، مستشرق بريطاني، عمل أستاذا للغة الغربية والدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامي في جمعة ادنبرة باسكلندا.

1 من كتاب " البحث عن الله " ص 67

2 كتاب " محمد والمحمدية " ‘MUHAMMAD AND MUHAMMADANISM’ لندن 1874، صفحة 92

وله كتاب محمد في مكة ومحمد في المدينة. وصاحب كتاب أثر الحضارة العربية الاسلامية على أوروبا، الذي يقيم فيه تأثير الحضارة العربية الإسلامية على أروبا القرون الوسطى والمداخل الجغرافية لهذا التأثير كالأندلس. يقول هذا الأخير: "إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدا مدّع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بـمحمد" [1].

يقول الباحث الهندوسي ديوان شاندشارمة: "كان محمد (صلى الله عليه وسلم) الرأفة والطيبة بعينيها والذين من حوله كانوا يشعرون بتأثيره ولم ينسوه أبداً" [2].

ويقول جورج برنارد شو، الغني عن التعريف ردا عن افتراءات الكنيسة: " قد درست الرجل الرائع وفي رأيي أنه يجب أن يُدعى منقذ البشرية فهو بعيد كل البعد من أن يُدعى ضد المسيح" [3].

يقول مايكل هارت، في تعليقه عن اختياره لمحمد صلى الله عليه وسلم، كأعظم العظماء، في كتابه العظماء المئة في التاريخ: "إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، أو شاركهم فيها غيرهم،

---

1 من كتاب "محمد في مكة" MUHAMMAD AT MECCA 1953، صفحة 52

2 رسل الشرق سنة 1935 ص 122

3 جورج برنارد شو في (الإسلام الصادق) ج1 سنة 1936

أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها" [(1)].

أما المؤرخ والفيلسوف الأمريكي صاحب الموسوعة التاريخية الغنية عن التعريف قصة الحضارة، ويل ديورانت، فيقول عن محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الموسوعة: "إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنسانا غيره حقق ما كان يحلم به". ويقول أيضا: "لسنا نجد في التاريخ كله مصلحا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم لإعانة الفقراء". ويضيف: "تدل الأحاديث النبوية على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين" [(2)].

أما المفكر الفرنسي ألفونس لامارتين، فيقول: " إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي

---

[1] مايكل هارت في مقدمة كتابه " مائة رجل من التاريخ " The 100, A Ranking of the Most Influential Persons In History

[2] ويل ديورانت (قصة الحضارة)

يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيّهم.

لكن هذا الرجل (محمد "صلى الله عليه وسلم") لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة. لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجها بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك.

حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث.

فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).

هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب

ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم). بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟"[1]

ويقول المؤرخ الإنجليزي ادوارد جيبون في كتابه تاريخ الشرق، الذي كتبه بالاشتراك مع سيمون أوكلي: "ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنا من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " هي ببساطة شهادة الإسلام.

ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين" [2].

ونختم هذا الفصل مع قول القسُّ الأنجليكاني كينيث كراغ: "لقد كان محمد (صلى الله عليه وسلم) هذا النبيَّ، كان فريدًا ومُميزًا ولا يُمكِن تكرارُه"، ويُضيفُ قائلاً:

---

[1] من كتاب "تاريخ تركيا" Historie de la Turquie باريس، 1854، الجزء الثاني، صفحة 276-277

[2] إدوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب " تاريخ إمبراطورية الشرق" History of the Saracen Empire، لندن 1870، صفحة 54

"لقد شكَّل القرآن الكريم إشارة مُهمَّةً ودليلاً واضِحًا على كون رسالة النبي هي وحي من الله، وبلاغة القرآن الكريم العربية كانت خير دليل على أنه وحي مِن الله [1]"

لا يمكننا اعتبار هؤلاء رسلا أو معصومين، لكن ما جرى على ألسنتهم من الحق لا يخالف الحق الذي دلت عليه الأدلة والبراهين.

بل ان أدلتهم واستنتاجاتهم توافق الحق والاعتقاد الصحيح، وهو ما يؤكد لنا أن النظر العقلي السليم، بضوابط وأحكام، يقودنا لحقيقة واحدة، بل حقيقة مطلقة لا يمكن أن تنقسم أو تتعدد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

[1] من كتاب "نداء المئذنة" (THE CALL OF THE MINARET) طبعة دار (OXFORD UNIVERSITY PRESS) لسنة 1964، (ص: 94 - 95) للقس الأنجليكاني (KENNETH CRAGG) المولود سنة 1913، وصاحب الكتابات الشهيرة في مقارنة الأديان، والحاصل على منحة GRAFTON لسنة 1934، وتمت رسامته قسيسًا سنة 1937.

الخاتمة

الخلاصة والاستنتاج

هل مازالت تراودك الشكوك اليوم حول وجود الله، بعد هذا النظر في الحقائق العلمية، وقد أمرنا الله بالنظر في خلقه، والتأمل في الظواهر الكونية. قال تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)}** [1].

المعلومات العلمية التي ذكرتها في الكتاب هي معلومات عامة والكتاب يناقش النظريات بصفة عامة، والتفاصيل موجودة في المطولات وفي الكتب المتخصصة. أما هذا الكتاب فهو لنقاش الأساسيات التي تقوم عليها النظريات وأقوال لأهل الاختصاص، يفندونها بدليل عقلي منطقي علمي وهم أهل الاختصاص.

القصد من هذا الكتاب هو وضع القارئ في إطار البحث، وطلب العلوم من مصادرها، وكما يجب أن تكون، بالاعتماد على حقائق يقينية، لا على مجرد نظريات وهمية. وقد رأينا كيف أن أشهر النظريات، والتي يتبناها الجمع الغفير من الناس في أنحاء الأرض، ليست الا مجرد تخمين يفتقر للدليل اليقيني.

والدليل اليقيني، هو ما يتبين لنا بعد انقشاع سحب الجهل، وذلك باتباع الحق، والعلوم، بأدلتها، وبالنظر والتجربة، دون الميل العاطفي لدين أو شخص أو نظرية

1 (سورة آل عمران 190)

وافقت ما تهواه أنفسنا. ليرسخ في قلوبنا بعد أن دل عليه العلم، والعقل، والمنطق. وهو ما حاولت اثباته وتأكيده في الصفحات القليلة من هذا الكتاب.

أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ولولا كرم الله ومنته، لما كان لهذه الصفحات وهذه الكلمات وجود، ولما كان لها النفع القليل أو الكثير. فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

تم اتمام وتحرير فصول هذا الكتاب

يوم السبت 5 أكتوبر 2019

الموافق لـ6 صفر 1441

بحمد الله وفضله

ولله الحمد